الصحراء الغربية: من الكفاح المسلح إلى الدبلوماسية الالكترونية

Western Sahara: From Armed Struggle to Electronic Diplomacy

يوسف براهيمي

جامعة الجزائر 3، الجزائر، fethi.zegar@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال:2020/07/15 **تاريخ القبول:**2020/11/03 **تاريخ النشر:**2021/01/01

ملخص:

خلال عقود من النضال بالوسائل التقليدية، كان الشعب الصحراوي عبر جبهة البوليساريو يعاني من الحصار الدبلوماسي والإعلامي المفروض عليه من طرف المغرب، وفي سعيه لافتكاك حقه المشروع، عمد الشعب الصحراوي عبر تنظيماته السياسية والجمعوية إلى الاستفادة من الثورة المعلوماتية التي لا يمكن ايقاف إشعاع رسالتها عالميا من طرف خصومه. يهدف هذا المقال إلى فحص الجهود التي تقوم بها جبهة البولساريو بالاعتماد على الوسائط الجديدة للترويج للقضية الصحراوية بأقل التكاليف. وقد توصلت الدراسة إلى أن استهداف شريحة واسعة من المتحمسين لقضايا حقوق الإنسان في العالم يكون قد ضاعف من درجة وحجم تأثيرها الإعلامي بشكل ملحوظ.

الكلمات المفتاحية: *الصحراء الغربية؛ الكفاح المسلح؛ الدبلوماسية الالكترونية.*

Abstract:

During decades of struggle by traditional means, the Sahrawi people, through the Polisario Front, were suffering from the diplomatic and media blockade imposed on them by Morocco, and in their enterprise to fight for their legitimate right, the Sahrawi people, through their political and associative organizations, took advantage of the information revolution that facilitate the spreading of its visions globally. This article aims to examine the efforts made by the Polisario Front, using new media, through e-diplomacy, to promote their cause at lowest costs. The study found that targeting a wide range of enthusiasts for human rights issues in the world has significantly doubled the degree and size of its media influence.

Keywords: *Western Sahara; armed struggle; e-diplomacy*

* المؤلف المرسل: يوسف براهيمي، youcef. fethi.zegar@univ-alger2.dz

مقدمة:

إنّ الخصوصيات التي أنتجتها الأدوات الإعلامية الجديدة قد جعلت العالم اليوم بدءا من الأفراد، هيئات حكومية غير حكومية، إقليمية كانت أم دولية إلى الحركات المناهضة للظلم والاستبداد إلى الدول التي تحاول مغازلة شعوبها حتى لا تتمّرد عليها عبر مظاهرات واحتجاجات، ومن ثمّ القضاء عليها لأنها لا تقوم بكل بساطة على أسس الديمقراطية والعدالة. ومن أهم النماذج الحية نجد: الربيع العربي الذي مس العديد من الدول، وثائق ويكيليكس التي استطعت أن تفضح العديد من الممارسات والسلوكيات المرتبطة بالمسائل الخطيرة التي وقعت بين الدول سرا بعيدا عن أعين شعوبها.

ولهذا، فانّ خطورة استخدام ما يسمى بالدبلوماسية الالكترونية قد أرغم الأنظمة الحاكمة نحو الاهتمام بها والتوجه نحو المزاوجة بين العمل الدبلوماسي الرسمي التقليدي والعمل الدبلوماسي الالكتروني (أدوات الكترونية، بمختلف أنواعها من فيسبوك، توتير...الخ) الذي أصبح يشكل تهديدا لكيان الدول والحكومات القائمة، لأن بإمكان أي مواطن حقوقي أو ناشط سياسي سواء أفراد أم جماعات تأليب وتحريض الشعوب ضدها.

وعلى وقع هذه الانجازات المتعاظمة التي كرّستها هذه الأدوات الحديثة التي تمثل بمثابة سلاح فتاك ذو حدين يتوجب على الشعب الصحراوي في هذه الحالة ضرورة التوظيف الأمثل لهذا النوع من الدبلوماسيات الالكترونية الحديثة التي لاترتبط لا بالزمان ولا المكان للتعريف بقضيتهم المشروعة والمصيرية وما يعانونه من انتهاكات من قبل المحتل المغربي لدى الرأي العام الدولي والعالمي لكسب أكبر قدر ممكن من الدعم والمساندة الدوليين لنيل استقلالهم الكامل السيادة.

وهذا ما يجرنا إلى القول أنّ هذه الطفرة التكنولوجية الجديدة أصبحت حقيقة حتمية تفرض نفسها إراديا أو لا اراديا على مختلف مكوّنات المجتمع العالمي بعيدا عن الرقابة. وما يعزّز ذلك وجهة نظر الباحث الكندي "مارشال ماكلوهان" الذي يقول أن الوسائط الحديثة أصبحت تمثل حتمية تكنولوجية ويقصد بذلك أنّ تقدم البشرية مرتبطا ارتبطا وثيقا بالتقدم التكنولوجي وأنّ هذا الرباط يقع خارج نطاق سيطرة البشر (موندي 2008، ص. 65). على ضوء ذلك نطرح التساؤلات التالية:

1. هل أصبحت الأدوات الالكترونية الحديثة بمثابة سلاح دبلوماسي جديد ينوب الدبلوماسية التقليدية الرسمية بمختلف أنواعها ؟
2. هل بإمكان الدبلوماسية الالكترونية أن تحقق مزيد من التفاعلية من حيث التأثير والمساندة بخصوص القضية الصحراوية التحررية لدى الرأي العام الدولي؟
3. ما مدى أهمية الدبلوماسية الالكترونية في تجسيد الانجازات المتعاظمة مقارنة بالوسائل الإعلامية الكلاسيكية؟

المحور الأول: نبذة عن الكفاح المسلح:

شهدت الصحراء الغربية ما شهدته بقية الدول المستعمرة التي ذاقت ويلات الاحتلال والمعاناة والاضطهاد، فمع بدية القرن (18م) لاسيما مع بروز ما يسمى بالثورة الصناعية التي فتحت شهية الأطماع والجشع لدى الدول الاستعمارية التقليدية وعلى رأسهم: بريطانيا، فرنسا، اسبانيا....الخ من خلال التخطيط لنهب ثرواتهم الطبيعية باعتبار أن ثروات التي تتوفر عليها هذه الدول لا تكفي لسد حاجياتها ولا لتجسيد إقلاع صناعي وحضاري، فاتجهت لإطلاق تطورها الصناعي والعلمي على حساب هذه المستعمرات. وبما أنّ كل دولة من هذه الدول الاستعمارية المتمثلة في الدول الأوربية التي تسعى لأن تنال اكبر قدر ممكن من ثروات هذه الدول، تم الاتفاق بين هذه الدول على تقاسم مناطق النفوذ فيما بينها.

وفي هذا الإطار تم الاتفاق بين فرنسا واسبانيا على تقسيم منطقة شمال إفريقيا إلى جزأين وذلك بسيطرة الإسبان على جزء من هذه المناطق التي تطل عليها بجهة البحر الأبيض المتوسط، وجزء أخر على جهة غرب المحيط الأطلسي. فكانت الصحراء الغربية ضمن المناطق التي استولت عليها (علم الدين 1996، ص.ص. 102-113). في حين حصلت فرنسا بموجب هذا الاتفاق على احتلالها للمغرب سنة 1912 مع التوصل إلى اتفاق ينص على وضع مضيق جبل طارق تحت نظام دولي خاص.

ومنذ ذلك الحين، تم احتلال كل دول شمال إفريقيا بدءا من الجزائر، تونس المغرب، ليبيا، الصحراء الغربية.....الخ سياسيا، اقتصاديا، ثقافيا وغيرها، وقد استمر الاستعمار على حاله إلى أن تم ظهور ما يسمى بحركات التحرر في العالم وبالضبط في الدول المستعمرة التي أصبحت تنادي بالسيادة والحرية الكاملتين سياسيا، اقتصاديا، علميا، ثقافيا ... الخ.

ومع تزايد أصوات الشعوب العربية المستعمرة خاصة المنادية بالاستقلال والذي تحقق فيما بعد كاملا منها: الجزائر، المغرب.... الخ سعت جاهدة إلى ضرورة استقلال الصحراء الغربية من وطأة الاستعمار ويبدو أن ظهور حركات التحرر في البلدان المستعمرة واستقلالها فيما بعد لم يشفع للصحراويين حق تقرير مصيرهم مثل بقية الدول الأخرى التي نالت استقلالها، حيث تم التلاعب بمستقبل هذا الإقليم بالرغم من خصوصياته الثقافية والعرقية والجغرافية التي تدل على أنّ الصحراء الغربية لابد لها من استقلال وإقامة دولة حرة كبقية المستعمرات الأخرى.

إذ أنّ الاتفاق الثلاثي المعروف باسم اتفاق مدريد الذي وقع بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا في نوفمبر 1975 القاضي بانسحاب اسبانيا من الإقليم، وهذا ما تم بالفعل في فيفري 1976 (الجويلي 1996، ص.ص. 83-96). قد مكن من تقسيم الصحراء بين المغرب التي حازت على الساقية الحمراء وموريتانيا على وادي الذهب وأثناء ذلك قامت المغرب باطلاق ما يعرف بالمسيرة الحمراء بأمر من الملك الحسن الثاني في نفس السنة، مع العمل على تنفيذ بنود الإتفاق الذي ينص على نقل السلطة بالصحراء الغربية لصالح المغرب

وموريتانيا قمة إنهاء الوجود الإسباني. وأمام هذه الخطوة الخطيرة التي أقدم عليها كل من المغرب وموريتانيا لم يبقى لدى جبهة البوليساريو سوى رفع السلاح ضد هذين المحتلين الجديدين (الخولي 2000، ص. 260).

قد مكن من تقسيم الصحراء بين المغرب التي جازت على الساقية الحمراء وموريتانيا على وادي الذهب وأثناء ذلك قامت المغرب بإطلاق ما يعرف بالسيرة الحمراء بأمر من الملك الحسن الثاني في نفس السنة، مع العمل على تنفيذ بنود الإتفاق الذي ينص على نقل السلطة بالصحراء الغربية لصالح المغرب وموريتانيا قمة إنهاء الوجود الإسباني. ليعرف الصراع تصعيدا عبر الهجمات المسلحة التي قادتها جبهة البوليساريو منذ انسحاب اسبانيا في فيفري 1976 ضد المحتل الجديد، وخلال هذه الفترة قتل رئيس جبهة البوليساريو مصطفى السيد بتاريخ 1976/11/09، لتتعاقب الأحداث، هجوم في جويلية 1977، وآخر في 1979/08/19. وبعد هذه الهجمات المتكررة، اضطرت موريتانيا للانسحاب من إقليم وادي الذهب بعد الضغوط التي مارسها عليها جيش التحرير الشعبي الصحراوي، وهو الآمر الذي دافع بهذه الأخيرة إلي التوقيع على اتفاقية مع جبهة البوليساريو بالجزائر وتحت إشراف هذه الأخيرة بتاريخ 1979/08/05، أما المغرب فلقد زادت أطماعه وقام بالاستيلاء على وادي الذهب مباشرة بعد خروج موريتانيا وهذا ما يعكس نية المغرب في سياساتها التوسعية في المنطقة.

المحور الثاني: تحديد الإطار المفاهيمي لمصطلح الدبلوماسية

يعود استخدام مصطلح الدبلوماسية إلى الإغريق، فهي مشتقة من كلمة diploma ويقصد بها الوثائق المطوية التي يتبادلها حكام المدن الإغريقية في علاقتهم الرسمية،وهي أيضا مشتقة من فعل diplom أي طوى وأثنى، فهذه الوثائق تمنح حاملها مزايا وتعطيه الحصانة أثناء أداء تنقلاته وهذا بغرض تمكينه من الأداء الجيد لمهنته (البياتي 2012، ص. 35). وهذا ما نجده عند العديد من الدول.

ويطلق هذا اللفظ عند الرومان على الجوازات وتصريحات المرور التي تعطى للرسل وتكون موقعة باسم مجلس الشيوخ أو باسم الامبرطور- وحسب الباحث عز الدين فودة فان لفظ الدبلوماسية له معنيين: المعنى الأول: يقصد به الشهادة الرسمية أو الوثيقة.....أو المهمة الموفد لأجلها... وكانت هذه الشهادات أو الوثائق عبارة عن أوراق تمسكها قطع حديد تسمى دبلوما diploma. (العدول 1986، ص. 186)

أما المعنى الثاني: يقصد به طباع المبعوث أو السفير وما يتوجب عليه من التزام الأدب واصطناع الجودة وتجنب أساليب النقد. وتدل هذه الكلمة حسب الباحث دائما على الرجل المنافق ذو الوجهين .diplomat ويرى الباحث في القانون والعلاقات الدولية (**فوشي**) بأنهايمكن أن تحدد كعلم أوفن.....يقوم على معرفة العلاقات القانونية والسياسية بمختلف الدول... وهدفها كان يقوم على إدارة الشؤون الدولية (الفتلاوي 2006).

وتعرّف الدبلوماسية على أنها: فن المفاوضة عن طريق ممثلين دبلوماسيين معتمدين لفض النزاعات بين الدول بهذه الوسيلة.وأيضا: السياسة الخارجية للدول وقت السلم. وكذلك: هي علم وفن تمثيل الدول وإجراء المفاوضات عن طريق ممثلين معتمدين لهذا الغرض (غياطو 2016-2017).

1. أنواع الدبلوماسية:

لقد تنوعت وتعددت أنماطها،أهمها:

أ. **دبلوماسية اقتصادية:** والمقصود بها توظيف واستخدام الدولة لمختلف مقدراتها الاقتصادية في سياساتها الخارجية، وقد تتمثل في توريد موارد الطاقة، تقديم مساعدات مالية، تقنية، قروض، مشاريع استثمارية.....الخ. ويهدف هذا النوع إلى محاولة التأثير في مواقف وسلوكيات الفواعل الأخرى في النظام الدولي اتجاهها لخدمة مصالحها وأهدافها (الشكري 2014، ص.21). ويعود ظهور هذا النوع إلى التحولات الدولية المختلفة المتمثلة في تحول النظام الدولي بعد الحرب الباردة، وكذا التطور المذهل لوسائل الإعلام الجديدة التي فرضت هذا النوع من الدبلوماسيات.

و تعني أيضا تلك النشاطات الدبلوماسية التي تستخدم العامل الاقتصادي في التعامل السياسي، وقد برز هذا النوع عقب الحرب العلمية الثانية،حيث تم إنشاء عدّة منظمات دولية منها: صندوق النقد الدولي FMI (الهاشمي 2011). وفي هذا السياق فلقد ظهرت عدة تسميات منها: دبلوماسية الدولار أو دبلوماسية المساعدات الاقتصادية أو الدبلوماسية الثمينة.

ب. **الدبلوماسية الثقافية:** فهي أداة جديدة لخلق ونسج علاقات دبلوماسية أفضل بين الدول، وتهدف إلىإيجاد تأييد وتضامن شعبي خارج نطاقها الجغرافي،الأمر الذي يسمح بإقامة علاقات مستقرة وروابط ودية بين الشعوب.و يقوم هذا النوع عبرالمراكز الثقافية للدول في البلدان التي تتواجد فيها عبر تظاهرات ثقافية،مهرجانات(ناصري 2010/2009).

جـ الدبلوماسية السياسية: وهي تلك النشاطات التي عرفتها المجتمعات منذ القدم الى يومنا هذا عبر البعثات الدبلوماسية، وزارة الخارجية رئاسة الجمهورية، وتقوم على ثلاث سمات أساسية: القدم، السرية ومحدودية الأطراف(مظفر 2007، ص. 16).

د. **الدبلوماسية البرلمانية**: ونجد هذا النوع في أروقة المنظمات الدولية ومن صفاتها العلانية وفيها تطرح القضايا الدولية علنا وبكل صراحة في الهيئات الدولية، فهي تسمح لممثلي الدول بإبداء وجهة النظر لبلدانهم وعلى قدر متساوي ودون تميز بين الدول مثل: الاتحاد الإفريقي، الاتحاد الأوربي(مشري 2010/2009).

هـ. **الدبلوماسية الشعبية أو دبلوماسية الإعلام:** ولقد تجلى هذا النوع نتيجة لظاهرة الديمقراطية التي أصبحت تقوم عليها الدول الأمر الذي فتح المجال لظهور أحزاب سياسية، برلمانات، منظمات جماهيرية، تطور وسائل الإعلام فظهر ما يسمى بالدبلوماسية ذات الطابع الديمقراطي.

ومن مظاهر هذه الدبلوماسية: إشراك وسائل الإعلام من قبل الدول في كل نشاطاتها، الأمر الذي أدى إلى تطوير وتعزيز مكانة الإعلام ودفع بأعضاء السلك الدبلوماسي على خلق علاقة ايجابية مع وسائل الإعلام (قايسي 2014، ص. 75).

2. من لغة السلاح إلى لغة المفاوضات الدبلوماسية:

إنّ ردود الفعل القوية للشعب الصحراوي عبر لغة السلاح اتجاه المغرب الذي استولى على أرضه، قد أدى الى الانصياع إجباريا في الدخول إلى قنوات المفاوضات من أجل إيجاد مخرج لهذه القضية. فمن أبرز المحطات والاتصالات التي باشرها الطرفان كان بتاريخ 1979 الذي يعد أول اتصال بينهما وكان ذلك بالعاصمة المالية باماكو، والتي هي عبارة عن لقاءات سرية لم تتوصل إلى نتائج تذكر. ومع بداية الثمانينيات القرن الماضي (1982 -1985) عقدت مرحلة جديدة من المفاوضات الغير المباشرة بين الجانبين التي عرفت باسم (المساعي الحميدة) تحت إشرافالأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية، إلى جانب هذه المفاوضات نظمت مرة أخرى لقاءات مباشرة بين الوفدين المغربي والبوليساريو بالجزائر عام 1983 بهدف إيجاد مخرج لوقف إطلاق النار، وتوفير الظروف الملائمة لتنظيم استفتاء حول تقرير المصير الشعب الصحراوي دون شروط إدارية وعسكرية وذلك تحت إشراف الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية.

ومع التطورات التي شهدتها القضية على المستوى الإقليمي والدولي، شكلت أول بعثة تقنية لدراسة المعطيات الديمغرافية واللوجستية قصد التحضير لتنظيم استفتاء، وهي عبارة عن جهود مشتركة بذلتها كل من الأمم المتحدة والوحدة الإفريقية وكان ذلك عام 1987. لتاليها فيما بعد تشكيل بعثة المينورسو سنة 1991 بناءا على توصيات مجلس الأمن الدولي وذلك لبدء تطبيق سريان وقف إطلاق النار وانتشار مراقبي الأمم المتحدة بين الجانبين (كيوان 2011). وعلى ضوء التحركات الدبلوماسية المغربية اليائسة لإقناع الشعب الصحراوي والمجتمع الدولي التراجع والعدول عن هذه الخطوة يقول الملك الحسن الثاني عام 1989 كلمته الشهيرة * المغرب تمكن من السيطرة على الأرض لكنه لم يفلح في كسب قلوب أهل الصحراء الغربية(وكالة الأنباء 2017). فهذا دليل على إيمان وقوة البوليساريو في طرحها الدبلوماسي الذي كسب العديد من مواقف المجتمع الدولي (منظمات حقوق الإنسان العالمية) بحق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره. وعلى العموم، فقد تراوحت المفاوضات الصحراوية المغربية ما بين مد وجزر وتوقف وتعنت وفشل تارة أخرى بسبب تصلب موقف إحدى الطرفين، إلا أن أهم المفاوضات التي عرفت جولات متتالية، نجد على أسها: محادثات هيوستن في سبتمبر 1997 والتي تم من خلالها توقيع الجانبين على اتفاقيات تتضمن ترتيبات وآليات تنفيذ خطة التسوية منها:

إعادة بعث عملية تحديد الهوية، البدء في تنفيذ خطة التسوية، تجميد نشاط القوات العسكرية، إطلاق سراح أسرى الحرب، عودة اللاجئين، الاتفاق على سلطة الأمم المتحدة بالإقليم خلال الفترة الانتقالية، تنظيم استفتاء. وفي مايو 2001، قام الممثل الشخصي للأمم المتحدة (**جيمس بيكر**) بعرض مشروع **اتفاق**

الإطار على البوليساريو الذي جاء بعد الجولة التي قام بها هذا الأخير في أفريل 2000م إلى المنطقة، لتاليها تنظيم محادثات مباشرة بين الطرفين في لندن بحضور الجزائر وموريتانيا باعتبارهما دولتين جارتين.

إنّ هذه المفاوضات بقيت تتراوح بين التوقف والاستئناف من حين لأخر إلى أنّ عقدت جولة جديدة من المفاوضات بـ مينهاست الأمريكية تحت إشراف أممي والتي عرفت أربع جولات إلى غاية 2008م، إلاّ أنّ هذه المساعي الدولية لم تأتي بثمارها ولم تحرز أي تقدم ملموس في القضية رغم المجهودات الأممية المتواصلة من قبل الممثلين الخاصين أخرهم (كريستوف روس) الذي بذل كل ما في وسعه لحل القضية بالطرق السلمية (وكالة الأنباء الجزائرية 2017).

المحور الثاني: من دبلوماسية المفاوضات إلى الدبلوماسية الالكترونية

لقد لعبت الثورة المعلوماتية دورا مهما في العملية الاتصالية بين الدول في العلاقات الدولية بشكل عام، حيث كرست حق المواطن في الإعلام بتعزيز الحرية المطلقة في نشر المعلومات، والتي جاءت تحت مسميات الإعلام الجديد، الإعلام البديل، الإعلام المجتمعي، إعلام المواطن وهو ما نجده يعبر عن فلسفة مؤسس ويكيليكس، التي أصبحت كوسيلة إعلامية فاعلة لا تخضع للرقابة من قبل أجهزة الدولة (بولعراس 2011، ص. 112).

إن بروز ما يسمى بالثورة المعلوماتية في الوقت الراهن لم يكن مجرد صدفة، بل نتيجة لثلاثة محددات أساسية، ثورة المعلوماتية، ثورة وسائل الإعلام والاتصال، ثورة الحواسيب التي تعد دعامة أساسية للأنترنت 2005 وبهذا فإن هذه المحددات السابقة الذكر أصبحت تمثل سلاحا جديدا لدى الصحراويين في توظيفه خدمة لقضيتهم. وبهذا، فإنّ وسائل الإعلام الحديثة ولما لها من دور في نقل الملفات المختلفة من خلال تجاوز الحدود الزمانية والمكانية، يعني عهد السرية والكتمان والخصوصية في العلاقات الدولية قد ولى. وفي هذه الحالة لابد، على القيادة الصحراوية أن يغتنموا هذه الفرصة الثمينة لفضح المخططات المغربية القائمة على النصب الكلي لثرواتها وعلى كل المستويات، خاصة وأن المغرب يعمل جاهدا على إخفاء ما يقوم به من الاستغلالات لذلك، بين خلال نشر كل ذلك عبر هذه الوسائط الحديثة التي لها ايجابيات لا مثيل لها من الصوت والصورة والحركة والتفاعلية للمجتمع الدولي. فمع ظهور ما يسمى بالأنترنت وما صاحبها من تطبيقات ووسائل تكنولوجية جديدة معقدة (youtube, blogs) المدونات (twitter, facebook) وانتشارها على نطاق واسع، قد جعل مكونات المجتمع العالمي تقبل تعطش كبير عليها، وهنا لابد أن بنده إلى أن هذه الأخيرة سيطرتها على الجهات الأربع من العالم، بذلك فهي أو مواجهة بين الأوضاع القائمة وثقافة الظاهرة الجديدة.

وعليه فقد كان على الشعب الصحراوي العمل على استغلال مثل هذه التطبيقات الرقمية للتعريف بقضيتهم التحررية وإيصالها إلى ذوي الضمائر الحية التي ترفض وتندد بالانتهاكات التي تمس حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، الأمر الذي سيؤدي بطبيعة الحال إلى كسب المزيد من الأصوات والتضامن الدولين.

وبالتالي، فإن استخدام هذا النوع من التطبيقات من قبل الصحراويين اتجاه قضيتهم هو بمثابة دبلوماسية إلكترونية تتم بصفة غير مباشرة وغير رسمية بين المنظمات والمجتمع المدني الصحراوي ونظرائهم العالميين، وهي تستطيع استقطاب أكبر قدر ممكن من التضامن الرقمي نحو القضية مقارنة بالدبلوماسية الرسمية التي هي الأخرى لها دور في كسب المواقف الرسمية للدول والحكومات وليس الشعوب، وهنا يكمن مربط الفرس لأنّ القضية تشكل هاجسا يزداد ثقلا ورواجا وضغطا على النظام المغربي في مختلف المحافل الدولية من قبل المنظمات ومجالس حقوق الإنسان جهويا ودوليا مما يؤدي إلى الانصياع نحو تطبيق تقرير مصير الشعب الصحراوي.

فما يميز هذا النوع الجديد من الدبلوماسية الرقمية التي لجأت إليها جبهة اليوليساريو هو الخصائص الجديدة التي لا توجد في الدبلوماسية التقليدية الرسمية، ومن أهم هذه الخصائص نجد ما يلي:

1. المشاركة فهي تشجع المجتمع على المساهمات وردود الفعل أي التعليقات من أي مهتم، كما تعمل على إلغاء الفاصل بين وسائل الإعلام والمتلقين.

2. الانفتاح: معظم شبكات التواصل الاجتماعي هي عبارة عن خدمات مفتوحة لردود الفعل والمشاركة وتبادل المعلومات والتعليقات وهذا ما حصل بالفعل في القضية الصحراوية مؤخرا عندما اتخذت الدول الإسكندنافية من مقاطعة كل المنتوجات التي تأتي من المغرب باعتبار أن إقليم الصحراء الغربية إقليم يخضع الإحتلال.

3. المحادثة: تعتمد على المحادثة باتجاهين يعكس وسائل الإعلام التقليدية التي تعتمد على مبدأ بث المعلومات ونشرها باتجاه واحد لجميع المتلقين.

4. التجمع: تتيح إمكانية التجمع بسرعة والتواصل بشكل فعّال ويربط تلك التجمعات اهتمامات مشتركة.

وهنا لابد من القول أنّ شبكات التواصل الإجتماعي أصبحت تشكل منبرا افتراضيا حقيقيا في تبادل الأفكار والإهتمامات المشتركة، النقاشات حول مواضع مصيرية، وهذا ما ينطبق أو يجب أن يكون عليه ملف الصحراء الغربية التي أصبحت محل اهتمام كل الفعاليات العالمية حكومية أو غير حكومية التي تؤمن بحق الشعوب المقهورة في نيل استقلالها وحريتها وهو ما نراه في الواقع.

إنّ الهدف الرئيسي من استخدام هذا النوع من الدبلوماسية الرقمية موازة مع الدبلوماسية الرسمية لدى مختلف مكونات الشعب الصحراوي يعود إلى قدرتها، وكذا معرفة قيمتها في اسماع صوتهم ومعاناتهم المتواصلة جراء ما يقوم به النظام المغربي، الذي دائما يسعى إلى ثني نضالهم وكفاحهم تجاه حقهم المشروع والمتمثل في الإستقلال الكامل من دون شروط.

ولإبراز قوة هذه الدبلوماسية الجديدة المتمثلة في الوسائط الرقمية المتناهية الدقة ومدى القدرة على التحكم فيها لما لها من تأثير واختراق كبيرين في حالة تسطير أهداف مرجوة، كما هو الحال بالنسبة للشعب

الصحراوي الذي يسعى لنيل استقلاله وفق المواثيق والمعاهدات الدولية التي تنادي بحق الشعوب في تقرير مصيرها، يجب أن نذكر في هذا الإطار كيف يتم تحقيق هذه الأهداف وفق تصور مؤسس موقع ويكليكس الصحفي الأسترالي "جوليان أسانج" خلال اختراقه لمختلف المواقع الرسمية وعلى رأسها وزارة الخارجية الأمريكية وقرصنة مختلف الملفات السرية الموجودة بها والتي تقوم على ثلاثة مقومات أساسية هي:

كشف التجاوزات وانقاذ الوثائق ذات القيمة التاريخية، وتحرير الصحافة من مقص الرقابة (التشويش عبر أجهزة) وهو ما يسعى إليه النظام المغربي دائما القيام به لحجب الحقيقة التي تقدمها مختلف الوسائل الإعلام الكلاسيكية عبر التشويش، التي لا تتوفر على مثل هذه الخصوصيات السابقة الذكر.

ولهذا، فقد كان على جهة البوليساريو استغلال هذه النقاط الثلاث الجوهرية التي لا توفرها سوى الوسائط الحديثة، التي لا تخضع لا للحدود الزمانية ولا المكانية، لكشف التجاوزات المغربية اللاقانونية أو اللاإنسانية الممارسة في حق الشعب الصحراوي.

وعلى صعيد آخر، فإنّ التوظيف المتواصل لهذا النوع من الدبلوماسية الرقمية من قبل قيادة وفعّاليات المجتمع المدني الصحراوية الناشطة في مجال حقوق الإنسان يجعلها تعمل جاهدة على إظهار الظلم والإستبداد والتعذيب، الذي يتعرض له الشعب الصحراوي عبر المعتقلين السياسيين في السجون المغربية وأحسن دليل على ذلك ما حدث مؤخرا من اصدار لأحكام جائرة في حق هؤلاء بسبب مشاركتهم في الحركة الإحتجاجيةبـ إكديم إزيك، ذنبهم الوحيد هو المطالبة بالحرية والإستقلال وهو الفعل الذي، دفع بالعديد من الدول الأوروبية إلى التنديد بهذه الأحكام غير العادلة وهو الموقف الذي اتخذته مثلا: ايطاليا بخصوصها حيث نددت وجددت موقفها من دعم القضية من أجل الحرية وتقرير المصير ويعود الفضل في ذلك، إلى النشاط المتواصل للشعب الصحراوي عبر هذه الوسائط التكنولوجية من خلال نشر صور ومشاهد فيديوية حية عبر مواقع الكترونية مما كشفت عمق المعاناة للرأي العام الدولي الذي تحرك بسرعة نحو التنديد والإستنكار بهذا الفعل اللاأخلاقي.

ومن جهة أخرى، فإنّ الإستخدام الدائم والمكثف لمثل هذا النوع من الدبلوماسية ذات الطابع الرقمي ضد التعنت المغربي الذي رفض الإنصياع لقرارات الشرعية الدولية، وبتواطؤ من بعض الدول الكبرى في مجلس للأمن وعلى رأسهم فرنسا، سوف يضعه أمام حقيقة واقعية عاجلا أم أجلا، فاستعمال مثل هذه الوسائط الرقمية من قبل الصحراويون خلال نشاطاتهم السياسية والثقافية للتعريف بالقضية وقد كشف للعالم النهب المتواصل لثرواتهم الطبيعية والباطنية والصيدية من طرف المغرب لاسيما لدى الدول الإسكندنافية التي تؤمن بحقوق الإنسان مثل الدانمارك، السويد، إيرلندا، قد دفع بهذه الدول وفي مقدمتهم السويد إلى اعترافها بالجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية وهو ما أدى بالمغرب إلى الهرولة نحو ارسال بعثة إلى ستوكهولم لمحاولة اقناعها على التراجع عن القرار، وهو ما شكل صفعة قوية له، مما أدى به إلى اتخاذ قرار ينص على مقاطعة البضائع السويدية واغلاق مقر صانع السيارات Volvo في الدار البيضاء.

وهذا إذن،ما جعل الصحراويون يركزون على الدول الإسكندنافية لحساسيتها اتجاه موقف حقوق الإنسان وتجربتها في معارضة المنتوجات القادمة من المناطق المختلفة، والدليل على ذلك أنّ مؤسس ويكيليكس بعد المطاردة التي قامت بها أمريكا ضده مكنته من الفرار إلى السويد لأنّ حقوق الإنسان هناك لديها تقديس كبير وخط أحمر لا يمكن تجاوزه.

ومن الإنجازات التي تحققت مؤخرا بفعل الاستعمال الإيجابي لهذه الدبلوماسية الإلكترونية بخصوص ملف ثروات الصحراء الغربية التي تنهب من قبل المغرب، هو قدرة الصحراويين عبر كل مكوناتهم من إرسال وبث مشاهد بالصوت والصورة تبين سرقة المغرب لثرواتهم رغم أن الأمم المتحدة كانت قد حرمت المغرب استغلالها، الأمر الذي جعل المغرب أمام ورطة يعاقب عليها القانون الدولي، وهذا ما أكدته مؤخرا وزارة الخارجية الإيرلندية أن حكم المحكمة الأوروبية، يتماشى وموقف بلادها المؤيّد لحق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره، مجددة في الوقت ذاته استعداد حكوماتها التام لاحترام قرار المحكمة العدل الأوروبية الصادر في 2016/12/21 الذي يؤكد أن اتفاق الشراكة بين الإتحاد الأوروبي والمغرب الموقع في عام 2012 لا ينطبق على الصحراء الغربية، والمتضمن تبادل المنتوجات الفلاحية ومنتجات الصيد البحري.

وعلاوة على ذلك فإنّ الانتصارات المتعاظمة للقضية الصحراوية دبلوماسيا، عسكريا، سياسيا، وإعلاميا عبر الوسائل الإعلامية الكلاسيكية(تلفزيون، راديو، صحافة، مكتوبة.....الخ) المرافقة دائما للمفاوضات الصحراوية المغربية عبر مختلف المنابر الدولية، لم يغفل الصحراويون قيادة ومنظمات وشعبا ضرورة استخدام الثورة التكنولوجية الجديدة كونها تمثل سلاحا قويا يمكن الاعتماد عليه بصفة كبيرة إلى جانب الوسائل الإعلامية التقليدية في نقل المواقف، والمشاهد المختلفة حول أوضاعهم المعيشية المتدهورة والمعلومات التي أصبحت في عهدها غير محتكرة على مستواها مقارنة بالماضي القريب. وهذا ما يعني أن الصحافة التقليدية يجب أن يعاد النظر في تحديد معناها بشكل دقيق في ظل الثورة المعلوماتية، وهذا ما يدل أيضا أن الأدوات التكنولوجية الحديثة قد أصبحت بديلا جديدا لدى الصحراويين قيادة ومجتمعا مدنيا لنقل ملفاتهم وصورهم وأرائهم وأفكارهم لدى مختلف شعوب العالم المؤمنة بحرية الآخرين والمساواة.

وفي هذا السيّاق يجب على القيادة الصحراوية أن تستثمر أكثر في البنية التحتية للمعلومات والاتصالات للمجتمعات الشبكائية المعاصرة "حتى تكون لديها سلاح دبلوماسي رقمي قوي يفوق قدرات الخصم والذي يسعى دائما إلى محاولة تضليل المجتمع الدولي سواء فيما يتعلق بالمشاهد العدوانية التي يقوم بها تجاه الصحراويين، أو على الأقل عرقلة مسار التسوية النهائية للقضية وإقناع المجتمع الدولي بالحكم الذاتي للإقليم تحت مظلة السلطة المركزية.

وفي هذا المنوال يقول أحد المفكرين الغربيين (ليف مانوفيتش):" ولكي نفهم طبيعة الإعلام الجديد، فإنّنا نحتاج لتجاوز الفهم السائد.

لكن من المهم الإشارة إلى أن هذه الوسائط رقمي ذو حدين وهذا يوحي بضرورة الإستغلال الأمثل ضدهم، ونشر أكبر قدر ممكن من الخطابات المنادية للإستغلال وكذا الصورة الفيديوية الحية التي تبين ممارسته حيال شعبهم الأعزل، باعتبار أن التدفق الكبير للمعلومات سيساعدهم على ثني هذا الأخير وإرغامه على الجلوس في مفاوضات جديدة لإيجاد حل نهائي للقضية، وهذا ما ينطبق مع احدى خطابات الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما أمام المسؤولين الصينيين حيث قال "إن الوصول إلى المعلومات سيساعد المواطنين على جعل حكوماتهم عرضة للمحاسبة، ويولد أفكارا جديدة، ويشجع على الإبداع.

خاتمة:

في سعيه لافتكاك حقه المشروع، عمد الشعب الصحراوي عبر تنظيماته السياسية والجمعوية إلى الاستفادة من الثورة المعلوماتية التي لا يمكن ايقاف إشعاع رسالتها عالميا من طرف المؤسسات الرسمية لدولة المغرب. إلى جانب ذلك. وقد تجندت القيادة الصحراوية بمختلف مشاربها النضالية من خلال توظيف هذه التقنيات في سياقها الدبلوماسي العصري لاسيما وأن موازين القوى بين الطرفين غير متكافئة في عملية المواجهة، أو لوجود رغبة محمومة من أجل تحقيق انتصار رقمي يكون أرضية لانتصارات ميدانية. ويسجل الملاحظون كيف أن جبهة البولساريو تمكنوا عمليا من كبح الكثير من خطوات خصومهم بالاعتماد على الوسائط الجديدةعبر الترويج لقضيتهم العادلة من دون تكلفة أو جهد كبير باستهداف شريحة واسعة من مستخدمي شبكات الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في العالم، بما ضاعف من درجة وحجم تأثيرها الإعلامي بشكل ملحوظ، ويتجلى ذلك من خلال التحركات الإلكترونية الناشطة والمتواصلة عبر المواقع المختلفة التي مكنتها من استمالة الرأي العام الإقليمي والعالمي بطريقة أو بأخرى.

قائمة المراجع:

1. موندي، جاكوب (2008). ترجمة: أحمد زاكي. الصحراء الغربية.

2. بولعراس، فتحي (2011). الدبلوماسية التقليدية في مواجهة العصر الرقمي: كواليس العلاقات المغاربية في وثائق ويكيليكس. المجلة العربية للعلوم السياسية. ع32، خريف، لبنان.

3. علم الدين، محمود (1996). ثورة المعلومات ووسائل الإيصال التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الإيصال: دراسة وصفية. السياسة الدولية. س32، ع123، مصر، كانون الثاني/ يناير 1996.

4. الجوبلي، عمرو (1996). العلاقات الدولية في عصر المعلومات: مقدمة نظرية. السياسة الدولية. س32، ع 123، كانون الثاني.

5. الخولي، رسالة (2000). تكنولوجيات المعلومات ما بين التصويت والتهويل. مجلة المستقبل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان. أكتوبر.

6. البياتي، أحمد باسل (2012). دور منظمة الأمم المتحدة لتسوية نزاع الصحراء الغربية، مجلة المستقبل العربي، ع 444، مركز دراسات الوحدة العربية لبنان.

7. العدول، جاسم محمد حسن وآخرون (1986). تاريخ الوطن العربي المعاصر، دار ابن الأثير، العراق.

8. الفتلاوي، سهيل حسين (2006). الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن.
9. غياطو، الأخضر (2017/2016). واقع الدبلوماسية الجزائرية من منظور الإعلام الجزائري –دراسة وصفية تحليلية لعينة من الإعلاميين الجزائريين،مذكرة ماستر،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،قسم العلوم الإنسانية (شعبة الإعلام والاتصال)،جامعة خميس مليانة.
10. الشكري، يوسف (2014). الدبلوماسية في عالم متغير،دار الرضوان للنشر والتوزيع، الأردن، 2014،.– www.Sahara occ.com /p/20-
11. الهاشمي، مجد (2011). الإعلام الدبلوماسي والسياسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
12. ناصري سميرة، الآليات الدبلوماسية الجديدة في ادراة النزاعات الدولية بعد الحرب الباردة، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص سياسة مقارنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بسكرة، الجزائر، 2009-2010.
13.الرزو، حسين مظفر (2007) المواجهة الغير المعلنة حزب الله والكيان الصهيوني في الفضاء المعلوماتي للأنترنت، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة للعربية، لبنان، ع242، س300، 2007.
14. مشري، عبد المجيد (2010/2009). الدبلوماسية الاقتصادية في عصر العولمة، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص الدبلوماسية والتعاون الدولي، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 3.
15. قايسي، آمال (2014). مواقع التواصل الإجتماعي بين الضرورة العصرية وحتمية التطور التكنولوجي، مجلة فكر ومجتمع، عدد خاص، جوان2014، طاكسيج، كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر،ص75.
16. كيوان، مأمون (2011). الويكيليكسوين، هل هم فوضويون افتراضيون، جريدة الحياة، 2011/01/07.